



## جلال جباري

**ما خفي من الجبل الثلجي العائم كان اعظم... يا احفاد  
هولاكو و ايتام صدام...**

الاتفاق الاخير بين وفد القيادة الكوردية والدولة العراقية رغم تواجده وضالة المطالبين الكوردية المزمع تحقيقها والتي لا تمثل في الحقيقة الا القمة البارزة من الجبل الجليدي العائم وليس الجبل كله , الا انها كانت كافية لأن تفقد اعداء الشعب الكوردي المعروفين صوابهم, واعني بهم العملاء من دول الجوار شرقاً وغرباً وشمالاً, والتي باتت تردد نغمات نشاز و من نفس السيمفونية السمجة المكررة حول عمليات تكريد كركوك او ما يزعم من محاولات كوردية للسيطرة على كركوك.

ولم يعد غريباً ايضاً ذلك الغزل المتبادل بين احفاد هولاكو من بعض العنصريين التركمان المعروفين بالولاء والانتماء, وبين ايتام صدام من العرب الحويجيين وغيرهم من العرب المعلنين الجدد(العشرة آلاف), وفي اصطفاغ غريب من نوعه ولكن المعروف في المرام والمقاصد المشبوهة, وكما كان يدن اعداء الكورد دوماً فهم مختلفون فيما بينهم الى حد الاحتراب والحروب الدموية, بدأ بمعركة جالديران ومروراً بالاستعمار العثماني وقادسيات صدام المقبور وانتهاءً بالتحالف الشيعي\_ التركماني\_ الوهابي\_ الحويجي, ولكنهم يجتمعون في ماخور واحد وهو معادات الكورد في وجوده على ارضه, وحقه الطبيعي في ممارسة هذا الحق حاله حال كل الشعوب والامم.

فترى ان بعض التركمان من العنصريين من ازلام الميت التركي يبدون حرصهم الزائف على (تركمانية) كركوك ولكنهم يباركون بل ويدافعون عن استقدام مئات الآلاف من العرب المعلبة (العشرة آلاف) الى كركوك , في الوقت الذي يعتبرون استحصال حق التصويت لعشرات الآلاف من الكورد المهجرين من ابناء كركوك هو عملية (تكريد) يمارسها الكورد!.... بل ولا يقفون عند هذا الحد , فانهم يدعون صراحة ودون خجل الى اعادة ترحيل ذلك الجزء الضئيل من الكورد الذين عادوا الى كركوك بعد زوال النظام الصدامي اللعين, وهم يعرفون جيداً و اكثر من غيرهم من هم هؤلاء, والى أية عشائر ينتمون, والذين هم في الحقيقة ابناء نفس العشائر الكوردية التي ينتمي اليها الكثيرون من هؤلاء المستتركين اباً عن جد وقبل ان تطالهم سياسات التتريك المقيتة والتي اشرت الى اثارها في مقالات سابقة وتناولها الكثير من المؤرخين من الكورد وغير الكورد بكثير من التمحيص والاسهاب.

وأنا اقول لهؤلاء وامثالهم الذين لم يعوا لحد الان ان زمن استعباد وقهر الكورد في العراق قد ولى , والنظام الذي كانوا يتمترسون خلف أفعالها الشوفينية بحق الكورد قد ذهب الى حيث يذهب كل نظام عنصري في التاريخ, وعليهم ان يدركوا جيداً ان ما تم الاتفاق حوله بخصوص حق التصويت ما هو الا القشرة الخارجية لللب المطالبين الكوردية او بالاصح المعانات والظلم

التأريخي على الكورد في كركوك، وهو ليس الاقمة الجليد العائم، أما الجبل الجليدي نفسه والذي نسميه نحن الكورد بالتطبيع فهو اكبر من ذلك بكثير، وهو الحجم الحقيقي لمعاناتنا نحن كورد كركوك لمظالم قاسية وطويلة الامد كنا نذوقها بمرارة ويأس، فكر كوك الذي حوى باطنها مخزوناً نفطياً هائلاً، فان ظاهرها كان (ولا يزال) يحوي في ذاكرة الكوردي مخزوناً اكبر من مختلف اشكال الظلم والحرمان والقتل، فقد كان تقسيم كوردستان وتشريد اهل كركوك والانفال والكيمياوي من نصيبنا، بينما كانوا هم من يتمتعون بخيراتها او على الاقل كانت معاناتنا تصب في طاحونة احلامهم واحلام اسيادهم الطورانيين، فاذا كان السماح بتسجيل بضعة الاف من كورد كركوك قد اقضت مضاجعكم الى هذا الحد، فاستعدوا اذاً لما هو اشد ايلاماً واحباطاً لكم ولأسياذكم في القادما من الايام والشهور، وهي فاتورة طويلة مضى على زمن تسديدها سنين وعقود، واعني بها فاتورة التطبيع، الذي هو الحل الوحيد لازالة جميع آثار عمليات التعريب والتهجير والقهر وبالتالي مفتاح حل قضية كركوك، تلكم العمليات البشعة التي دفعنا نحن الكورد ثمنها بأنهار من الدماء والدموع والحرمان، وبالمقابل كان سحتها الحرام يصب في جيوب أحفاد سعد بن ابي وقاص من البدو و جامعي الملح القدامى (الحويجيين)، وتؤمن في الوقت نفسه المسكن والارض والوظيفة ومختلف الامتيازات لبائعي موطن الاباء من العرب المعلمين من (العشرة الاف) من الذين أغراهم النظام السابق ودفع بقطعانهم الى حضر وريف هذه المدينة المغتصبة.

وما هو راسخ رسوخ جبال كوردستان، سواء لشعب كوردستان، كل كوردستان، أو لقياداتها السياسية قاطبة، بأن كوردستانية كركوك هو الخط الاحمر الذي لا يمكن لاحد ان يتجاوزه او يساوم عليه، وليس هنالك قيادة كوردية تستطيع ان تجازف بماضيها وبمستقبلها السياسي، بل حتى بشرعية وجودها اذا ما فكرت وتحت اية ظروف ان تتخطى هذا الخط الاحمر، فانها لاتتقد شرعيتها فحسب بل وحتى ولاء الملايين من جماهير كوردستان التي بات حلم كوردستانية كركوك هاجسها الاول والاخير بل الرئة التي بواسطتها يتنفس ويعيش، وهذه الاحزاب تدرك جيداً ان اية مساومة على كوردستانية كركوك انما ستؤدي الى انتهاء دورها كاحزاب قومية، وتؤدي حتماً الى احتلال تيارات واحزاب اخرى لمواقعها ودورها التاريخي وهذه التيارات لن تكون باي حال الا تيارات قومية متطرفة ستسلك طريق العنف كخيار وحيد لاستعادة كركوك الى احضان كوردستان، ولن تكون ذلك حتماً ضمن وحدة العراق ولن تكون ايضاً في صالح دول المنطقة وبالاخص التي لا تزال تغتصب اجزاء من كوردستان، ولن تكون ايضاً في صالح القوى الدولية التي تحاول تهدئة الامور في هذه المنطقة الحساسة من العالم، ان من شأن عدم حل مسألة كركوك ان تدفع العراق والمنطقة في دوامة حرب اهلية لا تبقي ولا تذر، صراع دموي مرير معروف البداية ومجهول النهاية والنتائج. ويكفي ان نستدرك انه لو تصرف النظام السابق بأسلوب اكثر واقعية وعقلانية (ولو ان ذلك كان بعيداً عن عقلية وطروحات حزب البعث العنصرية) في اواسط السبعينيات من القرن الماضي، لكان وفر على الشعب العراقي والمنطقة الكثير من الأرواح والأموال، ولكان صدام الان خارج زنزانته المهينة. وهذا الكلام رغم افتراضيته الا انه يتضمن ايضاً جزءاً مهماً من حقيقة مفادها ان حل قضية كركوك هو مفتاح الاستقرار في العراق وعكسه صحيح ايضاً، وبدون ايجاد حل منصف لهذه القضية فان العراق والمنطقة مقبلة على احداث مريعة لا تقف عند حدود العراق بل تتعداها الى ما هو ابعد منها بكثير وتؤدي بالضرورة هذه المرة ليس فقط الى تغيير نظام حكم سياسي معين فحسب بل ستؤدي ذلك تغيير مجمل الخارطة السياسية والجغرافية لعدد من دول المنطقة وعلى رأسها تلك التي تحتل كوردستان.

وهناك حقيقة اخرى قد يغيب عن بال الكثيرين وهو الربط الخاطى بين كوردستانية كركوك , وانشاء الدولة الكوردية , ذلك البيع الذي يورق حكام الدول المحتلة لكوردستان عامة وتركيا الكمالية خاصة , فهم يتصورون ان مجرد انضمام كركوك النفطية الى أحضان كوردستان يعني الاعلان الغير الرسمي لانشاء الدولة الكوردية , ولذا نراهم يدفعون بعملاءهم للعمل ضد هذا التوجه كلما لاحت في الافق أية بوادر لتطبيع اوضاع كركوك , وحتى ان تصرفات بعض هؤلاء العملاء تصب احياناً بالضد من مصالح شعبيهم انفسهم ( كما في حالة التركمان ودفاعهم عن عرب التعريب او وقوفهم ضد عودة قضائي طوز وكفري الى احضان كركوك والتي تضم ايضاً الالوف من التركمان ! ) , لأنهم مدفوعون وفق المفهوم الميكافيلي الشمشوني ( علي وعلى اعدائي ) , ولكن الحقيقة المستقاة من الامثلة القريبة لانشاء الدول الحديثة التكوين (البلقان ,الاتحاد السوفيتي السابق , تيمور الشرقية) ترفدنا بحقائق معاكسة مفادها ان النفط او اية ثروة طبيعية لم تشكل دوماً الاساس لانشاء هذه الدول بقدر ما كان السبب الحقيقي هو الظلم والقهر القومي والاقتصادي والاجتماعي والحرمان من التمتع بالحقوق القومية او الدينية , بل ان الكثير من هذه الشعوب فظلت حتى حياة الكفاف في ظل الاستقلال , على حياة افضل في ظل الاستعباد والظلم القومي او الديني , فالوضع الاقتصادي للبوسنيين كان حتى أفضل ابان وجود الدولة اليوغسلافية السابقة , وبتقديري الشخصي ان رجوع كركوك الى احضان كوردستان سيدفع بيوم تشكيل الدولة الكوردية عقوداً وعقوداً الى الوراء وليس العكس , لعدة اسباب منها ان الدول المحتلة ستستमित أكثر في اجهاضها وخنقها , سواءاً منفردة او مجتمعة لانها ستكون الخطر الاكبر على وجودها .

وما الأحلاف المشبوهة بين هذه الدول طيلة العقود الماضية الا خير دليل لما أقول ( حلف بغداد , سعد اباد , اتفاقيات الحدود المعروفة ) وهذه الدول لا ولن تقبل ضمن التوازنات الدولية الحالية بدولة كردية قوية ذات اقتصاد متين , ولكنها قد تتعاضى عن تشكيل كيان ضعيف وتابع ( كما كان حالها في الفترة قبل سقوط النظام بالنسبة للحكومة الكوردية الاقليمية الشبه مستقلة ) , لان هذه الدول وبالمفهوم العلمي لا تتعدى كونها الا دول قومية شوفينية ممثلة لأنظمة سياسة برجوازية اكثر تطوراً من البرجوازية الكوردية المحلية الحديثة العهد , وبالتالي فهي اي البرجوازيات التي تحكم الدول المحتلة لكوردستان , لا تقبل الا ببرجوازية كوردية كومبرادورية تابعة وليس برجوازية وطنية قوية و منافسة , والاهم من ذلك ان حل هذه المعضلة سيكون من شأنه ان يخفف من الآلام الكوردية المزممة على ايدي الانظمة المتتالية في العراق ومنذ تشكيل الدولة العراقية , ويجعل الانسان الكوردي ينظر الى العراق الجديد نظرة اكثر تفاؤلاً وانتماية , ويمتن اواصر التأخي الحقيقي الاختياري وليس الاحاقي المزيف , وبالتالي ينظر الى مستقبله المضمون في دولة فيدرالية قوية مزدهرة تمتلك اكبر احتياطي نفطي في العالم , اكثر من التفكير في الاستقلال وانشاء دولة في جزيرة يحيط بها بحار من الاعداء المتربصين بها من كل جانب , مع التأكيد على حقه الطبيعي في دولة مستقلة متى ما كان ذلك ضرورة تاريخية ملحة

وبديلاً لا بد منه , في حالة استحالة العيش المشترك والاحساس العميق باستمرار القهر القومي وتجاهل الحقوق المشروعة , واندك سيحذوا حذو البوسنيين ومهما كانت النتائج .

ان التطبيع الذي نعني به نحن الكورد يعني

أولاً \_\_\_ ارجاع الوحدات الادارية المستقطعة من كركوك الى سابق عهدها أي قبل ان تطالها يد البعثة البعثية , فالمعروف ان النظام البعثي قد قطع أوصال هذه المحافظة ووزع كل الوحدات الادارية ذات الاكثريية الكوردية و التابعة لها تاريخياً الى المحافظات المجاورة , وأبقى على القضاء الوحيد وذو الاكثريية العربية ( الحويجة ) ضمن المحافظة , في الوقت الذي يعتبر هذا

القضاء من احدث الاقضية في كركوك , وان اكثر سكانها هم اصلا عشائر بدوية نازحة من تكريت والموصل ولا يزالون مرتبطين بأواصر عشائرية قوية مع هاتين المحافظتين, وكان الاجدر (ولا يزال) ربطها كوحدة ادارية بأصلها العشائري والديموغرافي اي الموصل او تكريت, وذلك بعد اعادة الاراضي الواسعة التي استولى عليها هؤلاء لاصحابها الاصليين من الكورد والترکمان الشيعة ( اراضي منطقة الرياض والبشير والمقاطعة اربعة عشر من اراضي مشروع ري كركوك ( صدام سابقاً )

ان اعادة ربط الاقضية (جمجمال, طوزخورماتو, كفري , كلار) يعني اضافة اكثر من ربع مليون كردي الى محافظة كركوك على اقل تقدير, وهذا كان اصلاً السبب وراء استقطاع هذه الوحدات الادارية من قبل النظام البعثي العنصري, وهو نفس السبب وراء الهلع الذي اصاب العنصريين التركمان حين يتم الكلام حول اعادتها الى المحافظة الأم كركوك, لانهم يعرفون حقيقة الثقل السكاني الهائل للكورد في كركوك فيما لو تم اعادة هذه الوحدات الادارية الى سابق عهدها, كجزء لا يتجزء من كركوك, وهذا هو السر الكامن وراء التحالف التركماني البعثي الغير مقدس, اضافة الى مسألة ديموغرافية معروفة وهي ان هذه الوحدات الادارية ذات الاكثريّة الكوردية ستضل ترفد المدينة ووفق التطور الزمني بدماء كوردية جديدة بينما الجانب التركماني لا يمتلك هذه الميزة لانها اصلاً ليس لديها عمق سكاني يذكر خارج حدود المدينة!!!!.

وذلك يعني ايضاً اعادة الحياة الى اكثر من خمسمائة قرية كوردية هدمها النظام البعثي وقتل وشرّد أهلها في عمليات الانفال المشؤمة, وهي اراضي زراعية كانت سلة غذاء ليس محافظة كركوك فقط بل حتى المحافظات المجاورة, وهي تضم اراضي زراعية ذات تربة خصبة تعادل كل الأراضي الواقعة ضمن المحافظات الثلاث الاخرى من كردستان, وستتحول بقليل من الجهد والاموال الى مساحات زراعية غناء كما كانت في الماضي بل وافضل بكثير وخاصة لو تم سحب المياه اليها سواء من مشروع ري كركوك وكما كان مخططاً لها سابقاً قبل مجئ حكم البعث وقيامه بتغيير التصميم الاساسي للمشروع وتحويله الى مشروع تعريبي بدلاً من جعله مشروعاً اروائياً يخدم الجميع, كما يمكن تزويد كل منطقة كرميان بالمياه من سد دوكان ( من منطقة عسكر ) وسحب المياه الى مناطق اغرلر وسنكاو وجباري وزنكنة وصولاً الى كفري وكلار. واقامة أنظمة ري عصرية تتناسب مع طوبوغرافية المنطقة مثل أنظمة الري بالرش والتقيط, وحبذا لو تم اجراء دراسات ميدانية من قبل وزارة الري لتنفيذ مثل هذا المشروع الذي كانت السلطات السابقة تتفادى الخوض فيها لاسباب سياسية وعنصرية معروفة.

ان كوردستانية كركوك لا يتحقق الا بارجاع الوحدات الادارية المستقطعة منها الى احضانها كالسابق, فكر كركوك كوردستانية لانها محاطة من أطرافها الثلاثة بأقضية ونواحي وقرى كوردية ومنذ مئات السنين, ولعمق يصل الى اكثر من مائة كيلومتر في بعض المواقع, ومن اجل تجريفها من صفتها الكوردستانية والجغرافية قام النظام البعثي بفصل هذه الاجزاء عنها, فالنضال من اجل كوردستانية كركوك كان ولا يزال يتطلب وفي المقام الاول العمل على ارجاع هذه الوحدات الادارية الى سابق عهدها قبل ان تعبت بها أيادي البعث المجرمة.

ثانياً..... اعادة المهجرين والمهاجرين الى كركوك

قام النظام البعثي ومنذ اكثر من ثلاثين سنة من خلال حملات منهجية منظمة بتهجير الكورد من المحافظة, ولو ان عملية تغيير الواقع القومي لكركوك ترجع الى عقود سابقة وبالذات بعد اكتشاف النفط في اواخر العشرينيات من القرن الماضي, وكان هدف النظام البعثي هو تفرغ

المحافظة من سكانها الكورد بمختلف الوسائل والاتيان بعشائر و أناس موالين لها من العرب محلهم) لا اريد الخوض في تفاصيل هذه الجرائم فقد سبقني اليها الكثيرون من الاخوة المؤرخين الافاضل وهي معروفة عند كل العراقيين), وهذا الاسلوب من حملات الابادة العرقية لم يمارسه الا الدولة الكمالية في كوردستان تركيا من قبل, وفي الثلاثينات من القرن الماضي, وقد توج النظام جرائمه تلك بحملات الأنفال المقيتة والتي طالت كل قرى كرميان تهديماً وقتلاً وتشريداً

ان الواجب الوطني والقومي والانساني يتطلب اعادة كل المهجرين من كركوك الى منازلهم وقراهم, فهم لم يتركوا قراهم ومنازلهم للنزهة, بل اجبروا على ذلك وتحت تهديد حملات الابادة والاسلحة الكيماوية, والتي قتلت مئات الآلاف منهم وبيمتت ورمّت عشرات الآلاف, فلذا فان اولى مهام الحكومة العراقية الآن ان تعيد هؤلاء الضحايا( الباقين منهم على قيد الحياة) الى قراهم ومنازلهم وتعويضهم مادياً ومعنوياً ( هذا اذا كان بالامكان تعويض امرأة فقدت العشرات من ابناءها واخوانها واخواتها واقاربها), وبناء قرى عصرية لهم تتوفر فيها وسائل الحياة اللائقة, لأناس قاسوا كل اشكال المرارة والحرمان طيلة ثلاثة عقود, وهذا هو من ابسط الالتزامات لدولة ديمقراطية تريد فعلاً ازالة آثار الظلم والطغيان, وليس ترك هؤلاء في العراء ليكونوا أهدافاً سهلة لنيران واسلحة الارهابيين من أيتام صدام, ومحاولات الاخرين في حرمانهم حتى من حق العودة بعد كل المعانات الطويلة, ان الكورد لن يهدأ لهم بال الا بعودة كل المشردين من كركوك وهم بمئات الآلاف سواء داخل العراق او في المنافي, ومن المعروف ان هنالك مئات الالوف من كورد كركوك لا يزالون مشردين سواء في العراق او ايران او في الدول الاوروبية وامريكا واستراليا, فعلى سبيل المثال ان منظمة واحدة فقط في ستوكهولم ( جمعية اصدقاء كركوك) تضم مئات الأعضاء من اهل كركوك وجلهم من حملة الشهادات العلمية الرفيعة في الطب والهندسة وعلوم الكمبيوتر, وهم مستعدون للرجوع الى مدينتهم حالما يتسنى لهم ذلك.

ثالثاً..... اعادة العرب المستقدمين الى محلاتهم الاصلية

حينما بدأ البعث بتنفيذ سياسته المقيتة في تعريب كركوك واجه صعوبة كبيرة في التقليل من الوجود الكوردي في كركوك بالوسائل الاعتيادية في التضييق على السكان لاجبارهم على ترك المدينة وذلك بسد ابواب الرزق امامهم او نقل الموظفين الى المحافظات الاخرى او عدم تعيين الخريجين في مدينتهم وغيرها من الممارسات الشوفينية, فوجد ان كل ذلك لا يمكن ان يقلل الوجود الكوردي الى الحد الذي كان يتمناه ويخطط له, فلجأ الى اسلوب شيطاني جديد, الا وهو استقدام اعداد هائلة من العرب من الوسط والجنوب وبامتيازات مغرية من اموال وأراضي زراعية وسلطات استثنائية للموظفين منهم, وللتأريخ اقول ان بعض العشائر العربية العريقة لم تتجاوز مع تلك العروض المغرية وكذلك العرب الاصلاء في المدن, حتى ان بعضهم حوسب من قبل النظام في حينه, الا ان الضعيفي النفوس من العرب قبلوا ان يتحولوا الى خنجر خاصرة ضد اخوتهم في الدين والوطن من الكورد, وكثير من هؤلاء كانوا منبوذين حتى من ابناء جلدتهم, وحتى حينما استقروا في كركوك كانوا من الذين غيروا طابع المدينة المحافظ واصبحت أحياءهم نموذجاً للتفسخ الاخلاقي والاجرامي( وأنا التمس العذر لذكر هذه الحقيقة المرة), والذي كان مثار استنكار كل اهل كركوك الاصليين من الكورد والعرب والتركمان والكلدو اشور, اضافة الى انتماءهم الى الأجهزة القمعية والمخابراتية للنظام, وأنا لا اريد ان اظلم كل العرب المستقدمين ولكن ما ذكرته كان الطابع العام لهذه النماذج البشرية.

ان اعادة هؤلاء المغرر بهم الى مواطنهم الاصلية بل وحتى تعويضهم (لكونهم ومهما كان مواطنين عراقيين اخطأوا بحق انفسهم وشعبهم) هو الاساس الطبيعي في اعادة التوازن السكاني

والاجتماعي الى كركوك ,وهو الرد المنطقي للسياسة الشوفينية المدمرة التي اتبعها النظام السابق والذي كان يهدف ايضاً دق أسفين الشقاق بين أبناء البلد الواحد , وهو ليس مطلباً كوردياً فحسب , بل ان كل ابناء كركوك الاصلاء قد تأثروا بوجود هؤلاء الغرباء عن المدينة وطابعها الاجتماعي المميز ,ولو ان بعض الجهات المعروفة بانتماءاتها المشبوهة تريد توضيف ذلك لاغراضها الدنيئة ,

هذه هي باختصار مجمل المطالب الكوردية او ما نسميه نحن الكورد بالخط الاحمر الذي لا يمكن لاحد ان يتجاوزه ,والآن كلمة اخيرة لاحفاد هولاءكو وأيتام صدام .....هل ادركتم مدى صغر حجم قمة الجبل الجليدي العائم قياساً الى الجبل نفسه ام تحتاجون الى بعض الدروس في التربية الوطنية والفيزياء؟؟؟؟؟؟